ظهر المتن المنظوم عند العرب في القرن الثاني الهجري ، ولكن العرب لم يكونوا أول من اخترعه ، ونرى ذلك عند ( هوميروس ) في ملحمته التاريخية ( الإلياذة ) . وقد بدأ ظهوره عند العرب حين اتسعت معارفهم ، وتنوعت لديهم الثقافات ، وزاد إقبالهم على التعلم وقد أحسوا حينذاك بحاجتهم إلى نوع خاص من التصنيف يعينهم على حفظ المعلومات ونقلها ، فاستعانوا على ذلك بالشعر الذي امتلكوا ناصيته ، يقول أحد الباحثين ( لعل آخر الاتجاهات الجديدة التي تتناولها بالدراسة ، والتي لاحظنا نشأتها في شعر القرن الثاني ، هو الفن التعليمي الذي يصطنعه الشعراء عادة لنظم أنواع شتى ، وما كان ممكنا أن ينشأ في الشعر العربي فن تعليمي قبل هذا القرن لهذا السبب نفسه ) . ويؤكد باحث آخر أن الأرجوزة الأموية تعد أول شعر تعليمي ظهر في اللغة العربية وأن أراجيز العجاج وابنه رؤبة تعد شعرا تعليميا ، لأنها متون لغوية منظومة في اللغة نفسها من حيث هي لغة ، نظماها لتمد الرواة بالألفاظ الغريبة والأساليب الشاذة والنادرة ، وتزودهم بالشواهد والأمثال المأثورة والألفاظ المستعملة والمهملة . ثم تتابعت المنظومات العلمية عبر العصور حتى جاء عصر المماليك الذي كثر فيه هذا اللون من النظم واتسعت موضوعاته ، وأقبل الناظمون على النظم ليسروا على الطلاب سبل الإلمام بالمعارف وحفظها وسرعة استحضارها وقت الحاجة ، فجاءت على سبيل المثال منظومتا ابن مالك الطويلتان ( الكافية الشافية ) و ( الخلاصة الألفية ) ، ومنظومة الشاطبي الجامعة في القراءات . وهنا يعن لنا تساؤل في ضوء ما هو معروف من أن عصر المماليك يعد العصر الذهبي في نظم العلوم المتعددة ، وفي كثرة هذا النظم وتنوعه ، وهو : متى ظهر أول متن منظوم في النحو ؟. وللإجابة على هذا التساؤل نقول : تعزى أقدم منظومة في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ( 170 هـ ) ، قال خلف الأحمر المتوفى سنة ( 180 هـ ) : وحروف النسق خمسة وتسمى حروف العطف . وقد ذكرها الخليل بن أحمد في قصيدته في النحو :فانسق وصل بالواو قولك كله وبلا وثم وأو فليست تصعب الغناء ناسقة كذلك عندنا وسيلها رحب المذاهب مشعب ومهما يكن من شك في نسبة هذه القصيدة للخليل – وهو ما تطرق له المحقق– وبصرف النظر عن سمعة خلف الأحمر وأمانته العلمية ، وبغض النظر عن كل ذلك فإن هذه المنظومة مازالت تعد أول منظومة في النحو في ذلك الوقت المبكر . والوزن في الغزاة والرماة في الأصل عند جملة الرواة فعلة ليس لها نظير في سالم من شانه الظهور وآخرون فيه قالوا فعلة كما تقول في الصحيح جملة ثم تتابعت بعدها المتون المنظومة ، فنظم أحمد بن منصور اليشكري المتوفي سنة ( 370 هـ ) أرجوزة في النحو ، عدد أبياتها ثلاثة آلاف إلا تسعين ، تناول فيها ـ فيما تناول الخلاف في وزن « غزاة » و « رماة » و « قضاة » ونحوها ، وهل هي على « فعلة » أو « فعلة » أو فعل ؟ ، وقد قال في مطلعها : أقول من بعد افتتاح القول بحما . ذي الطول شديد الحول يا سائلي عن الكلام المنتظم حدا ونوعا وإلى كم ينقسم اسمع هديت الرشد ما أقول وافهمه فهم من له معقول حد الكلام ما أفاد المستمع نحو : سعى زيد وعمرو منبع ثم صنف الحريري المتوفى سنة ( 512 هـ ) أرجوزته النحوية « ملحة الإعراب وسنحة الآداب في ثلاثمائة وخمسة وسبعين بيئا ، منها :ومع أن ملحة الإعراب لم تنل حظا كبيرا عند الدارسين المعاصرين مثل ألفية ابن مالك ، فإن لها شروحا كثيرة ، منها : شرح الحريري نفسه ، وشرح لابن مالك المتوفي سنة ( 672 هـ ) . وبعد الحريري نظم الحسين بن أحمد بن خيران البغدادي المتوفي سنة ( 600 هـ ) متنا في النحو ، ثم تتابعت المتون النحوية المنظومة حتى وصلت ذروتها في القرن السابع الهجري أثناء عصر المماليك ، واتسعت رقعتها وكثر الناظمون لها ، وكان من أبرزهم ابن معط وابن الحاجب وابن مالك ، ومنظومة ابن الوردي المتوفى سنة ( 749 هـ ) في مائة وخمسين بيتا واسمها « التحفة الوردية » . وأرجوزة في حكم « لو » لتقي الدين السبكي المتوفى سنة ( 753 هـ ) ، وألفية في النحو لعبد العزيز اللمطي المكناسي المتوفى سنة ( 880 هـ ) . وألفية في النحو والتصريف والخط لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ( 911 هـ ) . إن هذا الثبت الذي تضمن أهم المنظومات في عصر المماليك يدل على نجاح هذه المنظومات ورواجها ، وأنها أصبحت مناط الاهتمام تصنيفا وتعليما آنذاك ، وقد تصاعد هذا النجاح في عصر العثمانيين من الكم ، ولكن المنظومات العثمانية لم تلق الرواج الذي لاقته المنظومات في عصر المماليك ، ومع ذلك فقد كان فيها الجيد المفيد والطريف المبتكر ، مما كان وما زال محل اهتمام الدارسين آنذاك وحتى اليوم . ومن أشهر المتون النحوية المنظومة في عصر العثمانيين : أرجوزة لعصام الدين بن عربشاه الإسفراييني المتوفى سنة ( 951 هـ ) باسم « الألغاز النحوية » ومنظومة لشرف الدين العمريطي ، فرغ منها سنة ( 972 هـ ) ، وسماها « الدرة البهية في نظم الأجرومية » ومظومة ابراهيم الكرمياني المشهور بشريفي المتوفى سنة ( 1011 هـ ) سماها « الفرائد الجميلة » وهي نظم لشافية ابن الحاجب .

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي